هذا فخذ اي كتاب شئت من الكتب المصنفة في الفقه وطالعه تجد
في ابواب من المسائل التي بناها مصنفه على الراي ودليلها في الامهات الست
فضلا عن غيرها الكثير الواسع وكثيرا ما تجد في ذلك من المسائل التي لم تدع
اليها حاجة ولا اقام عليها دليل بل مجرد الفرض والتقدير وما يدور في مناظرة
الطلبة وتسبق اليه اذهانهم فان هذا يكون في الابتداء سوالا ومناظرة
ثم يجيب عنه من هو من اهل الفقه وغالب من يتصدر منهم وينفق بينهم
هو من لا التفات له الى سائر العلوم ولا اشتغال منه بها ولا يعرف الحجة ولا
يعقلها فيدون الطلبة جوابه ويصير حينئذ فقها وعلما وهو كلام
جاهل لا يستحق الخطاب ولا يعول على مثله في جواب لو تكلم معه المتكلم
في فن من فنون الاجتهاد لكان ذلك عنده بمنزلة من يتكلم بالعجمية
ويأتي بالمعميات ويتعمد الالغاز فيا هذا الجاهل لا كثر الله في اهل
العلم من امثالك الا تقتصر على ما قد عرفته من كلام من تقلده فاذا
سالك سائل عن شيء منه نقلته له بنصه وان سالك عما لم يكن منه
قلت لا ادري فما بالك والكلام برأيك وانت جاهل لعلم الراي فضلا عن
علم الرواية وعاطل عن كل معقول ومنقول لم تحط من علم الفقه الذي انت
اهل مذهبك الا بمختص من المختصرات فضلا عن مؤلفات غير اهل
مذهبك في الفقه فضلا عن المؤلفات في سائر العلوم فانت من علامات
القيمة ومن دلائل رفع العلم وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه و
سلم عنك وعن امثالك وابان لنا انه يتخذ الناس رؤساء جهالا فيفتون
بغير علم فيضلون ويضلون فانت ممن يفتي بغير علم ويتحمل الضلالة
لنفسه والاضلال للناس فاربع على ظلعتك واقصر من غوايتك واترك
ما ليس من شانك ودع مثل هذا لمن علمه الله علم الكتاب والسنة
واطلعه على اسرارهما بما فتح الله من المعارف الموصلة اليهما فانت

ان

ان وكلت الامر الى اهله والقيت عنان هذا المركب الى فارسه دخلت
الى الشرف من ابوابه ووصلت الى الحق من طريقه وحططت عن عباد الله
كثيرا من هذه التكاليف التي قد كلفهم بها امثالك من الجهال واراحتهم من
غالب هذه الاكاذيب التي تسمونها علما فان ذلك بشيء الجهل خير منه
ولقد عظمت المحنة على الشرع واهله بهذا الجنس من المقلدة
حتى بطل كثير من الشريعة الصحيحة التي لا خلاف بين المسلمين في ثبوتها
واشتهارها بين اهل العلم ووجودها اما في محكم الكتاب العزيز او في
ما صح من دواوين السنة المطهرة التي هي مشتهرة بين الناس اشتهارا
على وجه لا يخفى على من ينتسب للعلم وان كان قليل الحظ فيه وسبب
ذلك ان هؤلاء كما عرفت قد جعلوا غاية مطلبهم ونهاية مقصدهم من
العلم بمختص من مختصرات الفقه التي هي مشتملة على ما هو من علم الراي
والرواية والراي اغلب ولم يرفعوا الى غير ذلك راسا من جميع انواع
العلوم فصاروا جاهلين بالكتاب والسنة وعلمهما جهلا شديدا
لانه قد تقرر عندهم ان علم الشريعة منحصر في ذلك المختصر وان ما عداه
فضلة او فضول فاشتد شغفهم به وتكالبهم عليه ورغبوا عما عداه
وزهدوا فيه زهدا شديدا فاذا سمعوا اية من كتاب الله او حديثا
من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرحا بحكم من احكام الشريعة
تصريحا تفهمه العامة من اهل طبقتهم كان ذلك هينا عندهم كانه
لم يكن كلام الله او كلام رسوله ويطرحونه بمجرد مخالفته لحرف من
حروف ذلك الكتاب بل مفهوم من مفاهيمه وهذا لا ينكره من صنيعهم
الا من لا يعرفهم وقد عرفت منهم من لو جمع له الجامع مصنفا مستقلا
من ادلة الكتاب والسنة يشتمل على ادلة قرانية او حديثية ما يجاوز
المئين او الالوف كلها مصرحة بخلاف حرف من حروف ذلك المختصر الذي قد
عرفه من الفقه لم يلتفت الى شيء من ذلك ولو انضم الى الكتاب والسنة

Copyright © King Saud University